دِيارٌ كنتُ آلَفُها وأَغْشى بها هَيْفاءَ واضحةَ الثَّنايا
فغيَّر آيَها صَرْفُ اللَّيالي وبدَّل أَهْلَها بالقُرْبِ نايا
غَدَتْ أيَّامُها سُوداً وكانتْ لياليِنا بها بِيْضاً وِضايا
وَبَتَّ الدَّهر حَبْلَ الوَصلِ لَمَّا تواصَلَتِ النَّوائبُ والرَّزايا

وقال أيضاً من شعره: [من السريع]

ما مِحْنَةٌ إلا لها غايةٌ وفي تناهِيْها تَقَضِّيْها
فاصبِرْ فإنَّ السَّعْيَ في دَفْنِها قَبْلَ التَّناهي زائدٌ فيها

يوسف بن محمد بن فارو[1]

أبو الحَجَّاج الأندلسي، سافر عن المغرب، ودخل بغداد وخُراسان، وتوفي ببَلْخ في ذي القَعدة، ومن شعره في الإجازة: [من الوافر]

أَجَزْتُ لهمْ روايةَ ما أَحبُّوا من المَسْمُوعِ لي والمُسْتجازِ
لأحظى منهمُ بدعاءِ خَيْرٍ وفي الأُخرى من اللهِ المُجازي
وخطُّ المَغْرِبيِّ لهمْ شهيدٌ على وَجْه الحقيقةِ لا المَجازِ

السَّنة التَّاسعة والأربعون وخمس ومئة

فيها بَعَثَ المقتفي رسولاً إلى تكريت بسبب عِزِّ الدِّين ابن الوزير ونجاح ويرنقش، فقبضوا على الرَّسول، فخرج الخليفةُ يوم الجمعة غُرَّة صفر بعساكره، فنزل على تكريت، فهربَ أهلُ البلد، ودَخَل العسكر البلد، فنهبوه، وشعَّثوا بعضه، ونصب الخليفة على تكريت ثلاثةَ عَشَرَ منجنيقاً، ووقع من سورها عِدَّةُ أبراج، وأقام القِتال يعمل إلى ثالث عشرة ربيع الأوَّل، فهبَّتْ ليلة الأربعاء بعد العِشاء ريحٌ شديدة أظلمتِ الدُّنيا، وظهر في الجوِّ نيرانٌ عظيمة، وتقطَّع سُرادق الخليفة، وأصبحوا، فباكروا

---

(١) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء المغرب والأندلس: ٢/ ٣٤٠-٣٤١، و«معجم البلدان»: ١/ ١٩٩، ٢/ ١٩٥ ـ وفيه وفاته سنة (٥٤٥هـ) ـ و«المشتبه» للذهبي: ٢/ ٥١٤، و«توضيح المشتبه»: ٧/ ١٤، ١٣٩-١٤٠.

وقد اختلف في رسم اسم جده. ففي «الخريدة» و«معجم البلدان»: فارو، وفاروا، وفي «المشتبه»: فِيُره، وفي «التوضيح»: فارُه.

القتال، وأشرفت على الأَخْذ، ورأى الخليفةُ النَّاسَ يُقْتلون، فساءه ذلك، ورَفَعَ القتال، ورأى أَنَّ الأمر يطول، فرحل إلى بغداد في آخر ربيع الأول.

وبعث صاحبُ المَوْصِل إليهم يقول: أطلقوا الأسارى، وأنا أَشْفع فيكم. فلم يلتفتوا، فجهَّزَ الخليفةُ الوزير، فخرج إلى تكريت، ووصل الخبر أَنَّ مسعود بلال والبقش نزلا شَهرابان[1]، وأنَّ السُّلْطان محمداً على قَصدِ بغداد، وقد كاتباه وحثَّاه على القدوم، فتمكنتِ الوَحْشة بين محمد وسنجر والخليفة، واستأذنا محمداً في التقدُّم إلى بغداد، فأذِنَ لهما، فأَنزلا رسلان بن طُغْرلْبك[2] من قلعة تكريت ليكون الاسمُ له ـ وكان محبوساً بها ـ والتأم إليهم من التركمان اثنا عشرة ألف خركاة[3]، وجاء الخليفةُ بعساكره، والتقوا، فانهزمت ميسرةُ الخليفة، وضربوا على خزانته، وتَتَعْتَعَ القلبُ والخليفة والوزير فيه، وعلى رأس الخليفة الشَّمْسة، والمَهْدُ بين يديه، والأعلام خَلْفه، والكوسات تخفُقُ، وثَبَتَ الخليفةُ ثباتاً عظيماً، وضَعُفَتِ الميمنةُ لما انهزمتِ الميسرة، فجاء منكوبرس وقويدان ـ وكانا فارسَيْن عظيمين ـ فترجَّلا، وقبَّلا الأرض للخليفة، وقالا: بالله يا أمير المؤمنين، اثبت ساعة لنقاتل بين يديك، فإنَّا إذا رأيناك قويت قلوبُنا. فقال: لا والله إلا وأنا معكما. ثم رمى الطَّيْلسان، وجَذَبَ السيف، وفعل وليُّ عهده كذلك، وكبَّرا، وصاح الخليفة: يا آل مُضَر، كذب الشَّيْطان ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا﴾[الأحزاب: ٢٥]، وحمل وحملتِ العساكر، فكان يُسْمَعُ وَقْعُ الدَّبابيسِ والسُّيوفِ على الحديد كوقع المطارق على السَّنادين، فانهزمَ القوم لا يلوون على شيء، ونُهبت أموالُ التُّرْكمان، فأُخِذَ منهم أربعة آلاف رأس غنم، ومن الخيل خمسون ألفاً، ومن الجمال مالا يحصى، ونُهبت نساؤهم وأموالهم وبناتُهم، وبِيعَ كلُّ كبشٍ بدانقين، وكلُّ فرس بدِرهمين، وكلُّ جَملٍ بخمسة دراهم، وأمر الخليفة بردِّ السَّبْي على أهاليهم، وأخذ البقش الصَّبيَّ[4] وهرب إلى بلده، ومضى مسعود وترشك إلى تكريت، وعاد الخليفة إلى بغداد في غُرَّة شعبان، وكانت الوقعة في رجب.

(١) شهرابان: قرية عظيمة ذات نخل وبساتين من نواحي الخالص شرقي بغداد. «معجم البلدان»: ٣/ ٣٧٥.
(٢) هو رسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه، انظر «تاريخ دولة آل سلجوق»: ٢١٨
(٣) في (ع) أربعة عشر ألف خَركاة، والمثبت من (ح)، وهو الموافق لما في «المنتظم»: ١٠/ ١٥٦.
(٤) هو الملك رسلان بن طغرلبك.

ثم نزل مسعود بلال وترشك من تكريت، ومضيا إلى واسط فنهباها، فجهَّزَ الخليفةُ الوزير إليهما، فانهزما، وغَنِمَ الوزير أموالهما، وعاد إلى بغداد، فخَلَع عليه الخليفة، ولقّبه سُلطانَ الجيوش ملكَ العراق.

وخرج العسكر يوم عيد رمضان في زيٍّ لم يُرَ مِثلُه، فلمَّا كان عَشِيَّةً جاء مطرٌ ورعد وبَرق، وزلزلت الأرض، ووقعت صواعِقُ، فوقع بعضها في تاج الخليفة الذي بناه المسترشد، فطار شرارها إلى الرَّقَّة المقابلة للتَّاج، فأحرقت نخيلاً كثيراً، ودامتِ النَّار أياماً.

ولما بلغ محمد شاه هذه الأمور عَزَمَ على قَصدِ بغداد، وكاتَبَ أمراء الأطراف يستنجدهم على الخلِيفة، فاتَّفق موت البقش، فَبَطَلَ ذلك، وبقي الصَّبيُّ في يدي [ابن][(١)] البقش وحسن الخازندار[(٢)]، فخافا أن يحملاه إلى محمد شاه فيقبض عليه، فذهبا به إلى الجبل، فسَلَّماه إلى زوج أُمِّه إيلدِكِز.

وفيها ضَيَّقتِ الغُزُّ على سنجر، وتركوه في قَفَصٍ من حديد في خيمة، ووكل به جماعة، وأجروا عليه كل يوم مالا يجري على سائسه، وكان يموت جوعاً، ويبكي ليلاً ونهاراً على نفسه، ويتمنى الموت، والغُزُّ يعيثون في خراسان يَسبُون ويقتلون وينهبون بغير مانع.

وفيها ملك نور الدِّين محمود دمشق، وسببه ما ظهر من مجير الدِّين من الظُّلْم ومصادرات أهلها، وسَفك دمائهم، وأَخْذ أموالهم، وقَبْضه على جماعةٍ من الأعيان، [واستدعى زين الدولة[(٣)] بن الصُّوفي الذي ولاه رياسة دمشق لما أخرج مؤيَّد[(٤)] الدولة منها، فقتله في القلعة، ونهب داره، وأحرق دورَ بني الصُّوفي، ونَهَبَ أموالهم][(٥)]، وتواترت مكاتباتُه إلى الفرنج يستنجد بهم ويطمعهم في البلاد. [و[(٦)] كان مرادُ نورِ

(١) ما بين حاصرتين من «المنتظم» ١٠/ ١٥٨ .

(٢) في «المنتظم» ١٠/ ١٥٨ ، الجاندار، ومثله في «الكامل»١١/ ١٩٦ .

(٣) في (م) و(ش): سيف الدولة، وهو تحريف، صوابه ما هو مثبت، انظر ص٤٣٩ من هذا الجزء.

(٤) في (م) و(ش) وجيه الدولة، وهو تحريف، صوابه ماهو مثبت.

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٦) في (ع) و(ح): ويطمعهم في البلاد، وكان قد جعل لهم في كل سنة قطيعة على أهل دمشق، وذل الإسلام وأهله في أيامه، وساءت سيرته، فكانت الأمراء... والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

الدين من أَخْذ دمشق أَنّه كان في عَزْمه خلاصَ القُدْس من الفرنج وبلاد الساحل، وكانت دمشق في طريقه. وطمع الفرنج في مجير الدِّين، وكان قد أعطاهم بانياس، فكانوا يشنُّون الغارات إلى باب دمشق، فيقتلون ويأسرون، وكان مجير الدِّين قد جعل للفرنج كل سنة قطيعة يأخذها منهم، وذَلَّ الإسلامُ وأَهلُه في أيامه، وساءت سيرته، وكثرت إساءته وفساده]، فكانت الأمراء وأعيان دمشق [يبعثون إلى][1] نورِ الدِّين يقولون: الغياثَ الغياثَ، وقالوا: إنْ شِئْتَ حَصَرناه في القلعة.

فرأى نورُ الدِّين أخذ [مجير الدِّين] باللطف، [[2] وقال: إنْ أخذتُه بالقوة استغاث بالفرنج، ولا شكَ أنَّه يعطيهم البلاد، فيكون وهْناً عظيماً على الإسلام. وكان من أشدِّ الأُمور على الفرنج أن يأخذ نور الدين دمشق، لأنه كان قد أحرق قلوبهم وأخرب بلادهم وليس له دمشق، فكيف إذا صارت له؟ فإنه يتقوى بها]، فعدَلَ إلى ملاطفته ومكاتبته ومهاداته، فأنِسَ به، وصار يكاتبه ويستشيره، فكان نور الدين يكتب إليه: إنَّ فلاناً يُكاتبني وفلاناً يكاتبني، فتارة يقبض مجير الدِّين عليهم وتارةً ينفيهم، فخلَتْ دمشق من الأُمراء، ولم يبق عنده غير عطاء بن حفاظ الخادم السُّلمي، وكان صاحِبَ بَعْلَبَكَّ، وقد رَدَّ مجير الدِّين إليه أمر دولته، وكان ظالماً، فكَتَبَ نور الديِّن إلى مجير الدين يقول: قد نفَّرَ عنك عطاءُ قلوب الرَّعية، فاقبضْ عليه. لعِلْم نورِ الدِّين أَنَّه لا يتم له أمرٌ في دمشق مع وجود عطاء، فقبضه مجيرُ الدِّين. وأَمَرَ بقَتله، فقال له عطاء: لا تقتلني، فإنَّ الحيلة قد تمَّت عليك، وذهب مُلْكُك، وسترى! فلم يلتفت إليه، وقتله، فحينئذ قوي طَمَعُ نورِ الدين في دمشق، وراسل أحداثها وأعيانها، فأجابوه، فسار إليها، ونزل عليها.

وكَتَبَ مجيرُ الدِّين إلى الفرنج يستنجد بهم، وبَذَلَ لهم بَعْلَبَكَّ وأموالاً كثيرة، وبلغ نور الدين، فأرسل إلى الأحداث، ففتحوا له الباب الشَّرقيّ، فدخلها عاشر صفر، وقيل سَلْخ ذي الحِجَّة، وحَصَرَ مجيرَ الدِّين في القلعة، وبلغ الفرنج فتوقفوا.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ع) و(ح): أخذه باللطف خوفاً من إعطائه البلاد للفرنج، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وقال ابنُ القلانسي: وصل أسدُ الدِّين شيركوه إلى غوطة دمشق في ألفِ فارس، فنزل على القَصب في المَرْج على أنَّه رسولٌ من نور الدِّين، فلم يخرج إليه أحدٌ من دمشق، وذلك في [العشر][(١)] الثَّاني من المحرَّم، فلما كان يوم الأحد ثالث صفر وصل نور الدين في عسكره، وخيَّم بعيون الفاسريا، ثم رحل من الغد، فنزل ببيت الآبار، وزحف إلى البلد من شرقيِّه، وزحف إليه من عسكر دمشق وأحداثه الخَلقُ الكثير، ووقع الطِّرادُ بينهم أياماً، فلمَّا كان يوم الأحد عاشر صفر زحف نور الدين، وظهر إليه العسكر من دمشق على العادة، ووقع الطِّراد [بينهم][(٢)]، فدفعهم نورُ الدِّين إلى بابِ كَيْسان، ولم يبق على السُّور أحد لسوء تدبير مجير الدِّين، وجاء واحد من رَجَّالة نورِ الدِّين إلى السُّور وعليه امرأة يهودية، فدلَّت إليه حَبْلاً، فتسلَّق فيه، وتبعه الرَّجَّالة، وأصعدوا علماً، وصاحوا: نور الدين يا منصور. وامتنع الأجناد والرَّعية من القتال لما هم عليه من بُغْض مجير الدِّين وظُلْمه، [وعَسْفه للرعية][(٢)] ومحبتهم لنور الدين [لعدله وخيره][(٢)]، وبادر بعض [قطاعي الخشب][(٣)] بفأسٍ إلى الباب الشرقي فكَسَرَ أغلاقه وفَتَحه، ودخل العسكر، فلم يقف بين أيديهم أحدٌ، ودخل نور الدِّين، ودخل مجير الدِّين إلى القلعة ومعه خواصُّه، وأغلق أبوابها، فأرسل إليه نورُ الدِّين، وأمَّنه على نفسه وماله، ونادى بأمانِ أهل البلد على نفوسهم ودورهم وأموالهم، وتقرَّرَ الأمر بينه وبين مجير الدِّين على حِمْص، وكتَبَ له منشوراً بها، وخرج إليها بأمواله وأسبابه، وأَحْسَنَ نور الدِّين إلى النَّاس، وأطلق المكُوس والضَّمانات، [ثم تلا ذلك إبطال حقوق][(٤)] دار البِطِّيخ وسوق الخيل[(٥)] وما يؤخذ من الأنهار وغير ذلك.

---

(١) ما بين حاصرتين من «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٣) في (ع) و (ح) بعض الجند، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و (ش)، وهو الموافق لما في «ذيل تاريخ دمشق».

(٤) في النسخ الخطية: و الضمانات ودار البطيخ، والمثبت ما بين حاصرتين من «ذيل تاريخ دمشق».

(٥) كذا في النسخ الخطية، وفي «ذيل تاريخ دمشق» سوق البقل.

وكان مجاهد الدين بزان في القلعة محبوساً فأُطْلق، ووصل الرَّئيس مؤيَّد الدِّين بن الصُّوفي إلى داره غير متعرِّضٍ لشيء من الولايات، وكان مريضاً، فتوفي في ربيع الأوَّل، ودفن في داره، [وكان في نِيَّته فساد][1]، فَسُرَّ النَّاس بموته[2].

وأقام مجير الدِّين بحمص، ثم كاتَبَ أحداثَ دمشق في إثارة الفِتنة، وبلغ نور الدين، فأعطاه بالس[3] ليبعد عن دمشق، فلم يرض بها، ومضى إلى بغداد، فبنى بها داراً مقابل النِّظامية، وأقام بها حتى مات، [وسنذكره][4].

وفيها قتل الظَّافر صاحب مِصر.

وفيها وصلت مراكب الفرنج إلى تِنِّيس، فقتلوا وأسروا ونهبوا وعادوا.

وحَجَّ بالناس من العراق قيماز.

فصل: وفيها توفي

عبد الرحمن بن عبد الصَّمد بن أحمد[5]

أبو القاسم النَّيسابوري، الإمام الفاضل، الزَّاهد الوَرِع، قرأ القرآن، وسَمِعَ الحديث، وكان قَنُوعاً باليسير، أوصى إليه قريبٌ له بأن يفرِّقَ ماله على الفقراء، فلما حَضَرَ بين يديه المال كان فيه مِسْكٌ، فلمَّا أراد تفرقته سدَّ أنفه، وقال: إنَّما يُنْتَفَعُ منه بريحه.

ولما استولى الغُزُّ على نيسابور قبضوا عليه، وأخرجوه ليعاقبوه، فشفع فيه السُّلْطان سنجر، وقال: هذا رجلٌ صالح، لقد كنتُ أمضي إلى زيارته والتبرُّكِ به فلا يمكِّنُني من الدُّخول عليه، فاتركوه لأجلي [فإنه له عليَّ حق][6]، فتركوه، وكانت وفاته في المحرَّم بنيسابور، [سمع أبا سَعد الحِيْري، وأبا بكر الشِّيرُويي][6]، واتفقوا عليه[7].

(١) ما بين حاصرتين من (م) و (ش).

(٢) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٥٠٣-٥٠٦، و«الروضتين»: ١/ ٣٠٥-٣٠٧.

قلت: ثم يأتي في النسخ الخطية عقب هذا قوله: وفيها قتل الظافر صاحب مصر، وأقام مجير الدين بحمص ...الخ، وقد رأيت أن أضع خبر مقتل الظافر بعد خبر مجير الدين حتى يحسن نظم الكلام، والله الموفق.

(٣) بالس: بلدة بين حلب والرقة، «معجم البلدان»: ١/ ٣٢٨.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و (ش)، وستأتي ترجمته في وفيات (٥٦٤هـ).

(٥) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ١٥٩، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٧/ ١٥١-١٥٢.

(٦) ما بين حاصرتين من (م).

(٧) في (م): واتفقوا على صلاحه.

عُبيد الله بن المُظَفَّر بن عبد الله(١)

أبو الحَكم الباهلي الأندَلُسي.

ولد بالمَرِيَّة سنة ستٍّ وثمانين وأربع مئة، وحجَّ طبيباً مع أمير الجيوش سنة ثماني عشرة وخمس مئة، وخدم السُّلْطان محمود بن ملك شاه، وأنشأ له مارَسْتان يُحمل على الجمال معه في أسفاره.

وكان شاعراً خليعاً، وله ديوان سمَّاه «نَهْج الوَضَاعة» ذكر فيه مثالب الشُّعراء الذين كانوا بدمشق، وله ديوان شعر شرحه ولده أبو المجد أفضل الدِّين(٢).

ولما مات أبو الحكم رثاه عرقلة، فقال: [من البسيط]

يا عينُ سحِّي بدَمْعٍ ساكبٍ ودَمِ ... على الحكيمِ الذي يُكْنى أبا الحَكَمِ
قد كان لا رَحِمَ الرَّحمنُ شيبته ... ولا سقى قَبْرَه من صَيِّبِ الدِّيمِ
شيخاً يرى الصَّلواتِ الخَمْسِ نافلةً ... ويستحِلُّ دمَ الحُجَّاجِ في الحَرَمِ(٣)

محمد بن المُحْسِن بن أحمد(٤)

أبو عبد الله السُّلَمي، أصله من مَلَح(٥) قرية بحوران، وولي أبوه على حلب زماناً، وكان فاضلاً، وله نَظْم ونَثْر، قال يمدح القاضي ابن أبي عقيل: [من الكامل]

---

(١) ومنهم من سماه عبد الله، وله ترجمة في «تاريخ دمشق» لابن عساكر: ١٠/ ٧٤٢-٧٤٣، و«خريدة القصر» قسم الشعراء المغرب: ١/ ٢٨٩-٢٩٩، و«طبقات الأطباء» لابن أبي أصيبعة: ٦١٤-٦٢٧، و«وفيات الأعيان»: ٣/ ١٢٣-١٢٥، ٢٨٩-٢٩٩، و«ذيل تاريخ بغداد» لابن النجار: ٢/ ١٤٩-١٥١، و«الوافي بالوفيات»: ١٧/ ٦٢٢-٦٢٥، ١٩/ ٤١٥ و«نفح الطيب» ٢/ ٦٣٧-٦٣٩، و«شذرات الذهب»: ٤/ ١٥٣.

(٢) هو محمد بن عبيد الله كان طبيب نور الدين، وتولى البيمارستان النوري، توفي سنة (٥٧٠هـ) أو قبلها، انظر ترجمته في «طبقات الأطباء»: ٦٢٨، و«الوافي بالوفيات»: ٣/ ٣٣٠-٣٣١، و«نفح الطيب»: ٢/ ٦٣٨.

(٣) الأبيات ليست في ديوانه المطبوع.

(٤) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر» ١٥/ ٩٣٩-٩٤٠- وذكر وفاته سنة (٥٤٧هـ) - و«الوافي بالوفيات» ٤/ ٣٩٠، و«توضيح المشتبه»: ٨/ ٧٢.

(٥) هي من أعمال صرخد، انظر «توضيح المشتبه»: ٨/ ٢٦٠.

يا هِنْدُ هل وصلٌ فَيُرْتَقَبُ ... إنْ كان يُحْفَظُ في الهوى نَسَبُ
أنسيتِ مَوقِفَنا بذي سَلَمٍ ... أيَّامَ أثوابِ الصِّبا قُشُبُ
قد زرتُ بغداداً وطال بها ... عَهْدِي وحَرَّكَ نحوها سَبَبُ
دارُ الملوكِ وكلُّ من ضُرِبَتْ ... فوق السِّماكِ لمجدِهِ الطُّنُبُ
دَعْ عنكَ هِنْدَ فقد أغار على ... فَوْدَيْكَ عَسْكرُ شَيْبِكَ اللَّجِبُ
واقْصِدْ بِمَدْحِك ماجداً يدُهُ ... تُغْني إذا ماضَنَّتِ السُّحُبُ

من أبيات[(١)].

وقيل: مات سنة سبعٍ وأربعين وخمس مئة.

المُظَفَّر بن علي بن محمد[(٢)]

ابن جَهِير أبو نَصر، وزير بن وزير من بيت الوِزارة، نَقَلَه المُقْتفي من الأستاذ دارية إلى الوزارة، وسَمِعَ الحديث، وحَجَّ، وتوفي في ذي الحِجَّة، وصُلِّي عليه بجامع القَصر، ودُفِنَ مقابل جامع المنصور.

يوسف[(٣)] بن عبد المجيد، أبو المنصور، الظَّافر بالله[(٤)]

ولد سنة سبعٍ وعشرين وخمس مئة، وأُمُّه أُم ولد تُدْعى ستَّ الوفاء، وقيل: ست المُنى.

بويع سنة أربعٍ وأربعين وخمس مئة، وهو ابنُ سبع عشرة سنة وأشهر، وقُتِلَ سَلْخ المُحَرَّم، وله اثنتان وعشرون سنة، وكانت أيامه أربع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام.

---

(١) انظر تتمة الأبيات في «تاريخ ابن عساكر»: ١٥/ ٩٣٩-٩٤٠ .

(٢) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ١٦٠، و«الفخري»: ٣١١، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٢٨٣، و«العبر» للذهبي: ٤/ ١٣٨، و«الوافي بالوفيات» ٢٥/ ٦٨١، النجوم الزاهرة: ٥/ ٣١٨، و«شذرات الذهب»: ٤/ ١٥٤ .

(٣) انفرد سبط ابن الجوزي بتسميته يوسف، والذي في المصادر: إسماعيل.

(٤) له ترجمة في «نزهة المقلتين» لابن الطوير: ٦٧-٦٨ ، و«الكامل» ١١/ ١٤١، و«الروضتين» ١/ ٣٠٩ و«وفيات الأعيان»: ١/ ٢٣٧-٢٣٨، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٨٨-٢٩٧ ، و«اتعاظ الحنفا»: ٣/ ٢٠٨-٢٠٩ و«سير أعلام النبلاء»: ١٥/ ٢٠٢-٢٠٤، وفيه تتمة مصادر ترجمته، وقد ساق بعض أخباره أسامة ابن منقذ في كتابه «الاعتبار».

وكانت أيامه مضطربة لحداثة سِنِّه، واشتغاله باللَّهو، وكان عَبَّاس الصُّنْهاجي لما قتل ابن السَّلّار وَزَرَ له، واستولى عليه، وكان له ولدٌ اسمه نصر، فأطمع نفسه في الأمر، وأراد قَتْلَ أبيه، وَدَسَّ إليه سُمًّا ليقتله، فَعَلِمَ واحترز، وأراد أن يقبض عليه، فما قَدَرَ ومنعه مُؤَيِّد الدولة أُسامة ابن مُنْقذ، وقبَّح عليه ذلك وقال: إن فعلتَ هذا لم يثق بك أحد، ونفَرَ النَّاسُ عنك. فشرع أبوه يلاطفه، وقال: عوض ما تقتلني فاقْتُلِ الظافر، فعزمه الغدر بنا، ونولي ولده وهو صبيٌّ صغير.

وكان نصر ينادم الظَّافر ويعاشِره، وكان الظَّافر يثق به، وينزل في الليل إلى داره متخفِّياً، فنزل ليلةً إلى داره وكانت بالسيوفيين ومعه خادِمٌ له، فشربا ونام، فقام نَصرٌ، فقتله ورمى به في بئر، فلمَّا أصبح عبَّاس جاء إلى باب القَصر يطلب الظَّافر، فقال له خَدَمُ القَصر: ابنك يعرف أين هو، فَسَلْه. فقال: ما لابني به عِلْم. وأحضر أخوي الظَّافر وولد أخيه، فقتلهم صبراً بين يديه، وأحضر أعيان الدَّوْلة، وقال: إنَّ الظَّافر ركب البارحة في مركبٍ، فانقلب به، فَغَرِقَ. ثُمَّ أخرج عيسى ولد الظَّافر، فنفروا عن عَبَّاس وابنه، وثار الجند والعبيد وأهل القَاهرة، وطلبوا بثأر الظَّافر من عَبَّاس وابنه نَصر، فأخذا ما قدرا عليه من المال والجواهر، وهربا إلى الشَّام، وبلغ الفرنج، فخرجوا إليهما، وقتلوا عَبَّاساً، وأسروا ابنه نصراً، وقُتِلَ في السنة الآتية، وسنذكره إنْ شاء الله تعالى.

وذكر ابنُ القلانسي أَنَّ الظافر إنما قتله أخواه يوسف وجبريل وابن عمهم صالح بن حسن، وكان الظافر قد ركَنَ إليهم، وأَنِسَ بهم في وقت مَسرَّاته، فاتفقوا عليه واغتالوه، وقتلوه، وأخفوا أمره، وذلك في يوم الخميس سَلْخ صفر، وحَضَر العادل عباس الوزير وابنه ناصر الدِّين، وجماعةٌ من الأمراء والمقدَّمين على الرَّسْم للسَّلام فقيل لهم: إنَّ أمير المؤمنين ملتاث الجسم. فطلبوا الدخول إليه، فَمُنِعُوا، فلَجُّوا في الدُّخول بسبب العيادة، فلم يمكَّنُوا، فهجموا، ودخلوا القَصر، وانكشف أمره، فَقَتَلوا الثَّلاثة، وأقاموا ولده عيسى وهو ابنُ ثلاث سنين، ولقبوه بالفائز بنصر الله، وبايعوه وعباس الوزير، وإليه تدبير الأمور.

ثم وَرَدَ الخبر بأنَّ طلائع بنَ رُزِّيك فارس المُسْلمين قد امتعض من ذلك، وجَمَعَ وحشد، وقَصَدَ القاهرة، وكان من أكابر الأمراء، وعَلِمَ عَبَّاس أنَّه لا طاقة له به، فجمع أمواله وأسبابه وأهله، وخرج من القاهرة، فلما قَرُبَ من عَسْقلان و غَزَّة خرج إليه جماعةٌ من خَيَّالة الفرنج، فاغترَّ بكثرة من معه، فلما حَمَلَ فَشِلَ أصحابهُ وانهزموا، فانهزمَ هو وابنه الصَّغير، وأُسر ابنه الكبير الذي قَتَلَ ابن السَّلار مع ولده وحُرَمه وماله وكُراعه، وصار الجميع إلى الفرنج، ومَنْ هرب ماتَ من الجوع والعَطَش(١).

ووصل طلائع بن رُزِّيك إلى القاهرة، فوضع السيف فيمن بقي من أصحاب عَبَّاس، وجلس في منصب الوزارة.

قال المِصريون: وعيسى الفائز كنيته أبو القاسم، ومولده بالقاهرة سنة أربعٍ وأربعين وخمس مئة سَلْخ ربيع الآخر، وأُمُّه أم ولد يقال لها مهج، بويع في المحرَّم من هذه السنة، وله خمس سنين.

وكان خُدَّام القَصر قد كتبوا إلى طلائع بن رُزِّيك، وهو والي قُوص وأُسوان والصَّعيد يخبرونه بقَتْلِ الظَّافر، ويستنجدونه على عَبَّاس وابنه نصر، وكتب إليه القاضي الجليس أبو المعالي عبد العزيز ابن الجَبَّاب: [من الطويل]

عَدَتْنيَ(٢) عن نَظْمِ القريض عوادي ... وشَفَّ فؤادي شَجْوُه المُتَمادِي
وأَرَّقَ عَيْني والعيونُ هواجعٌ ... همومٌ أَقَضَّتْ مَضْجعي ووِسادِي
بمصرع أبناءِ الوَصِيِّ وعِتْرة النَّـ ... ـبيِّ وآلِ الذَّارياتِ وصادِ
فأينَ بنور رُزِّيك عنهمْ ونَصرهُمْ ... ومالهُمُ مِنْ مَنْعَةِ وذِيادِ
أولئك أنصارُ الهدى وبنو الرَّدى ... وسُمُّ العِدى من حاضرين وبادِ
لقد هُدَّ ركن الدِّين ليلةَ قَتْلِهِ ... بخيرِ دليلٍ للنَّجاة وهادِ
تدارَكْ من الإيمانِ قبل دُثُورِهِ ... حُشاشةَ نَفْسٍ آذَنَتْ بنفاد
فقد كادَ(٣) أنْ يُطْفي تألُّقَ نوره ... على الحقِّ عادٍ من بقية عادِ

(١) انظر «ذيل تاريخ دمشق»: ٥٠٦-٥٠٧.

(٢) عدتني: أي صرفتني وشغلتني، انظر «معجم متن اللغة»: ٤/ ٤٩.

(٣) في (ع) و (ح): كان، وأثبت ما هو أشبه بالصواب.

فلو عاينتْ عيناكَ بالقَصرِ يومهمْ ومَصْرَعَهُم لم تكتحِلْ برُقادِ
لأبْصرتَ حقًّا كَرْبلاءَ وعِتْرَةَ النَّـ ـبيِّ وهُمْ صَرْعى الجُنوب صوادِ
بني المصطفى كم ذا يُرَوِّعُ سِرْبُكُمْ بظُلْم إلى يوم المعادِ مُعاد
قضى ابنُ زيادٍ منكُمُ كلَّ حاجةٍ وأعْقبكُمْ مِنْ بَعده ابنَ مَنَادِ(١)
فصبراً لعلَّ الدَّهْرَ يجبُر كسرَكُمْ بأَبْلَج نَهَّاضٍ بكلِّ نآدِ(٢)
فَقُلْ للحُسام العَضْبِ فهو مُؤمَّلٌ ليوم ضِرابٍ أو ليوم طِرادِ
فمزِّق جموعَ المارِقين فإنَّها بقايا زُرُوْعٍ آذَنَتْ بحصادِ(٣)

من أبيات.

فجمع الصَّالح أهلَ الصَّعيد والعرب، وجاء إلى القاهرة، ودخلها في تاسع ربيع الأوَّل، وأخرج جسد الظافر من البئر التي كان فيها في دار نَصر بنِ عَبَّاس، وجعله في تابوت، ومشى بين يديه حافياً، مكشوفَ الرأس، وفعل الناس كذلك، وكثر الضجيج والبكاء، فقال الحسن بن علي ابن أبي جرادة ثقة المُلْك(٤) يمدح الصَّالح من أبيات: [من الرمل]

حامِلُ الأعباءِ عن أهلِ العَبا(٥) آخذٌ بالثأرِ من باغٍ وعادِ

---

(١) ابن مناد هو عباس الصنهاجي، ومناد هو أحد أجداد قبيلة صنهاجة من حمير، انظر نسبهم في «وفيات الأعيان»: ١/ ٣٠٤.

(٢) النآد: الداهية. «معجم متن اللغة»: ٥/ ٣٧٦.

(٣) ساق ابن العماد أربعة أبيات منها في «خريدة القصر» قسم شعراء مصر: ١/ ١٩٠، وأورد أبو شامة بعض أبياتها كذلك نقلاً عن «الخريدة» في كتاب «الروضتين»: ٢/ ٧-٨ إلا أنه زاد بيتاً ليس في "الخريدة"، مما يدلك على أن المطبوع من «الخريدة» لم يطبع عن أصل جيد. وانظر «النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٩٢-٢٩٣ ففيه تسعة أبيات منها.

(٤) ستأتي ترجمته في وفيات سنة (٥٥٥هـ).

(٥) أهل العبا، ويقال أهل الكساء، وهم آل البيت، وفي ذلك إشارة إلى الحديث الصحيح الذي أخرجه أحمد في مسنده (٢٦٥٠٨) من حديث أم سلمة تذكر أن النبي ﷺ كان في بيتها، فأتته فاطمة ببرمة، فيها خزيرة، فدخلت بها عليه، فقال لها: ادعي زوجك وابنيك. قالت: فجاء علي والحسين والحسن، فدخلوا عليه، فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة وهو على منامة له على دكان تحته كساء خيبري قالت: وأنا أصلي في الحجرة، فأنزل الله هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] قالت: فأخذ فضل الكساء، فغشاهم به، ثم أخرج يده، فألوى بها إلى السماء، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً». قالت: فأدخلت رأسي البيت فقلت: وأنا معكم يا رسول الله، قال: «إنك إلى خير، إنك إلى خير».

من عُصاةٍ أضمروا الغَدْرَ فهم(١) أَهْلُ نَصبٍ ونفاقٍ وعنادِ
قتلوا الظَّافر ظُلْماً وانتحوا لبني الحافظ بالبيضِ الحِدادِ
واعْتدى عَبَّاس فيهِمْ وابنُه مثلَ عُدْوان يزيدٍ وزيادِ
مِثْل سَفْرٍ قتلوا هادِيَهُمْ ثُمَّ ضَلُّوا مالهم مِنْ بَعدُ هادِ
جاءهمْ في مثل ريح صرصر فتولوا مِثْلَ رَجْلٍ من جَرَادِ
بعدما غَرَّهُمُ إملاؤه ولهيبُ الجَمْرِ من تحت الرَّمادِ(٢)

وقال الجليس ابن الجَبَّاب: [من الطويل]

سَقَتْها بأكنافِ العميم الغمائِمُ رسومٌ لها تبكي المطيُّ الرَّواسمُ
عطاءٌ مُتاحٌ لم تُعِقْه عوائِقٌ ومالٌ مباحٌ لم تَصُنْه الخواتِمُ
وبَذْلُ لُهى يجنى بأيسره الغِنى هو الجودُ لا ما ظَنَّ كعبٌ وحاتِمُ
إلى ملكٍ يعلو الملوكَ مَحَلُّه كما تعتلي فوق الكعوبِ اللَّهازِمُ
يَحُفُّ به من آلِ رُزِّيك صِيْدُها كما حَفَّ بالبَدْرِ النُّجومُ الهوائِمُ
له في ذَرَا غَسَّان بيتٌ مُطَنَّبٌ فِنا الحَظِّ أوتادٌ له ودعائِمُ
ولما ترامى البَرْبَرِيُّ بجهلِهِ إلى فَتْكةٍ ما رامها قَطُّ رائِمُ
وجاهَرَ بالوُدِّ القديم منافقاً وأظهر نُصحاً وهو للغِشِّ كاتِمُ
ركبْتَ إليه مَتْنَ عَزْمتك التي بأمثالها تُلْقى الخطوبُ العظائِمُ
وقُدْتَ له الجُرْدَ العِتاقَ كأنَّما قوائمُها عند الطِّرادِ قوادِمُ
وقمتَ بحقِّ الطالبيِّينَ طالباً وغيرُك يُغْضي دونه ويُسالِم
أَعَدْتَ إليهِمْ مُلْكَهُمْ بعدما لوى به غاصِبٌ حَقَّ الأمانةِ ظالِمُ
فما غالِبٌ إلا بَنَصرك غالِبٌ ولا هاشمٌ إلا بسَيْفك هاشِمُ(٣)

من أبيات.

(١) في (ع) و(ح): من عبيد السوء فهم، ولا يستقيم به وزن هذا الشطر، والمثبت من «الخريدة» قسم شعراء الشام: ٢/ ١٩٩.
(٢) انظر الأبيات في «خريدة القصر» قسم شعراء الشام ٢/ ١٩٩-٢٠٠.
(٣) انظر أبياتاً منها في «خريدة القصر» قسم شعراء مصر: ١/ ١٩٠-١٩١.

ثم وزر الصَّالح للفائز، فأحسن التَّدْبير، وضَبَطَ الأُمور، ورتَّبها أحسن ترتيب، وعَدَلَ في الرعية، وكان صالحاً كما سُمِّي. وماتَ الفائز سنة خمسٍ وخمسين.

وأما عَبَّاس بن أبي الفتوح الصُّنهاجي، فكان أسلافُه يحترمون أسلاف الظَّافر، ويخطبون لهم ببلاد إفريقية وغيرها، وكان أخو عَبَّاس حاكماً على إفريقية، فخاف منه عباس، فهرب إلى مِصر(١)، فاستولى عليها، واتفق مع الظَّافر على قتل ابنِ السَّلَّار، وكان نصر بن عَبَّاس ولدَ امرأة ابنِ السلار وربيبَه(٢)، وفي حِجرْه رُبِّي، فاتَّفق نَصرٌ مع أبيه على قَتْله، فقتله كما ذكرنا، وَوَزَرَ عَبَّاس، ولقب بأميرِ الجيوش، ثم اتَّفق مع ابنه نَصر على قَتْلِ الظَّافر فقتله، وخرجا إلى السَّاحل، فَقُتِلَ عَبَّاس على عَسْقلان في صفر، وبقي ابنه نصر عند الفرنج، فبعث أهلُ القاهرة إلى الفرنج بمالٍ جزيل، وطلبوا نصراً، فبعثوا به إليهم، فخرج أهل القاهرة ومصر، وجرَّدوا السَّكاكين والمقاريض، وقرضوا لحمه وشرَّحوه، ومثَّلوا به أقبح مُثلة، ثم صلبوه على باب داره بالسّيوفيين، وعلَّقوا رأسه على باب زُويلة، ثم ألقوا جسده إلى الكلاب، فأكلته، وأحرقوا ما بقي منه.

ووصلتِ الأخبار إلى بغداد بهذا وأنَّه لم يبق إلا صبيٌّ صغير، فكتب المقتفي عهداً لنورِ الدِّين محمود على الشَّام والسواحل ومِصر وأعمالها، وبعث إليه الخيل بمراكب الذهب والخِلَع، وأمره بالمسير إليها، وكان مشغولاً بجهاد الفرنج.

السَّنَة الخمسون وخمس مئة

فيها قَبَضَ الخليفةُ على صاحب البابِ أبي الفَتْح بن الصَّيْقل الهاشمي، وكان قد مدَّ يده إلى أموالِ الناس، وولي مكانه أبو القاسم عليُّ بن محمد بن هبة الله بن الصَّاحب.

---

(١) كذا قال، وهو وهم، صوابه ما ذكره ابن الأثير في «الكامل»: ١١/ ١٤٢ من أن علي بن يحيى هو الذي أخرج أخاه أبا الفتوح والد عباس من إفريقية.

(٢) كذا قال، وهو وهم، صوابه أن عباساً هو ولد امرأة ابن السلار، فقد قدم عباس مصر سنة (٥٠٩هـ) مع أبيه وأمه وكان صغيراً يرضع، ونزلوا الإسكندرية، فلما توفي أبوه تزوج ابن السلار أمه -وكان وقتئذٍ والي الإسكندرية ـ انظر «الكامل»: ١١/ ١٤٢، «وفيات الأعيان»: ٣/ ٤١٨ ، وانظر ص ٤٤٣ من هذا الجزء.